لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء التاسع والعشرون: أسباب الثبات

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تهنئةٌ وعزاء !

خرج علي ابن أبي طالب رضي الله عنه آخر ليلة من رمضان فنادى ورفع صوته قال: "من هذا الذي فاز في رمضان فنهنّئه! ومن هذا الذي خسر في رمضان فنعزّيه!

وهذا كلام مَن فَقِه ما هي هذه الأيام التي مرت عليك ؟! وما هي هذه النعمة التي سترحل عنه ؟! هل هو فيها من الفائزين أو –نعوذ بالله من الخذلان– كان فيها من المخذولين!.

ونحن في هذه الكلمات نبذل جهودنا أن نحذر أن نكون كحمقاء مكة التي حذّر الله المؤمنين من حالها: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾ [النحل: ٩٢].

والفتور بِحُجَّة الراحة بعد رمضان يخالف ما يجب عليك أن تفهمه من أن الرحلة لا راحة فيها إلا مع أول قدم في الجنة نسأل الله من فضله، **سُئل الإمام أحمد: متى الراحة؟ قال: "عندما تضع أول قدم من قدميك في الجنة"**.

فلهذا سيكون موضوعنا هو الكلام عن **أسباب الثبات** على الطاعة خاصة بعد هذا الشهر الفضيل، وإن كان هناك عوامل تخصّ هذه الحال التي نحن فيها في السنوات الأخيرة وخاصة هذه السنة، لعلنا لم نمرّ في حياتنا بمراحل حرجة من حروب وفتن مثل ما يمر بها عالمنا اليوم، لو فكَّر فيها العبد لشرد ذهنه وانخلع قلبه مما يرى! مسلمين يقتل بعضهم بعضًا! وتذهب بركات أعمارهم ولياليهم الفاضلة وخيرات أرضهم، وترى الناس متأججة أحوالهم في شرق أو غرب، كل هذا يزيد حاجتنا للكلام حول الثبات.

إنّ الثبات على الحق والتمسك به من صفات المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] والنبي صلى الله عليه وسلم لاقى ما لاقى، ومع ذلك نفعه الله عزّ وجلّ بما علمه وأوصله بفضله إلى الثبات، فقد لقي ما لقي ومع ذلك كان أشدّ ثباتًا حتى بلّغ رسالة ربه على أتمّ وجه.

إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء، وقد ورد في الحديث ((إِنَّ قُلُوبَ بَنِى آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ)). ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ((اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ))[1].

وهذه أم سلمة رضي الله عنها تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُكْثِرُ فِي دُعَائِهِ ((اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)) قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ الْقُلُوبَ لَتَتَقَلَّبُ؟ قَالَ: ((نَعَمْ مَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلا وَقَلْبُهُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ فَإِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ))[2].

فهذا من الأدلة العظيمة التي تدلّ على أنّ الإنسان عليه أن يكون في حالة تأهّب واستنفار في حياته، **والواقع الملموس يشهد أن كل شيء يتقلّب:**

- كم من روضة فيها زهر يانع أصبحت هي وزهرها يابس هشيم!
- وبينما ترى الرجل من أهل الخير والصلاح ومن أرباب التقى والفلاح، قلبه بطاعة ربه مشرق سليم، إذ به بنقلب على وجهه فيترك الطاعة ويتقاعس عن الهدى!
- والعكس بالعكس ترى أن هناك بعيدين يقربهم الله عزّ وجلّ.

نذكّر نفسنا بهذا الأمر الذي يخيف أولي الألباب، تنفطر منه قلوب الأتقياء وتتصدّع له أكباد الأولياء،كيف والخاتمة مغيبة والعاقبة مستورة، والله غالب على أمره، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: فَوَالَّذِى لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ

[1] رواه مسلم في صحيحه.

[2] التوحيد لابن خزيمة، والمعجم الكبير للطبراني.

أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا))[٣].

فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، فلا تركن ولا تأمن، ولا تعدّ حسناتك فإن عند الله لا يضيع شيء، إنما ابكي على تفريطك، واعلم أنه سبحانه وتعالى كريم رحيم، وقد ورد فيما يقال أن بعض السلف طلب من جلسائه أن يعدّوا أكثر شي يعرفوه فعدّوا وعدّوا وقالوا أكبر ما نعرف السموات والأرض، فقال: "رحمة الله أكبر شيء فهي التي وسعت كل شيء"!.

فنحن في طمع في رحمته، وفي خوف من تقصيرنا، **فإذا انتهى موسم مثل هذا الموسم يبقى الخوف من التقصير مع الطمع في الرحمة يحركنا**، فلا نركن لطاعة ولا نقنط من رحمة الله، ولابد أن نعلم على قدر ثباتنا على الصراط المستقيم الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثباتنا على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيرنا على هذا الصراط في الدنيا يكون سيرنا على ذلك الصراط، معلوم أن منهم من يمرّ مرّ البرق، ومنهم من يمرّ مرّ الريح، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يحبوا حبوا، ومنهم المخدوش، ومنهم من يسقط والعياذ بالله في جهنم، وهل تجزون إلا ما كنتم تعملون!

وهذا الصراط المستقيم هو الذي نرغبه ، وندعو الله عزّ وجلّ مرات ومرات في يومنا ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ ثبّتنا على طريق الصالحين، طريق أهل الايمان، طريق أهل التقوى، طريق أهل التوحيد، طريق الذين أنعمت عليهم وسمعنا عنهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وما علينا في مثل هذه الحال إلا ان نجمع بين أمرين مهمين:

١. عمل القلب.
٢. عمل الجوارح.

[٣] رواه مسلم في صحيحه.

أولاً: عمل القلب

إنّ من أهمّ أسباب حصول الاستقامة على الطريق المستقيم والثبات :

١) الشعور بالفقر إلى تثبيت الله

ليس لنا غنى عن الله، والله عزّ وجلّ يقول لنبيه ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ الإسراء:٧٤ ولذلك كان فعل النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ).

والفقر شعور مريح، يجعل الإنسان يخرج الأمر من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، أنا فقير لا أستطيع لنفسي شيئًا وليس لي حول ولا قوة، ولكن لن أثبت إلا إذا أنت ثبّتني، ولن أستقيم إلا إذا أنت جعلتني مستقيمًا، فالشعور بالفقر والحاجة إلى التثبت قربة بنفسه إلى الله، الخوف من الزيغ قربة تعبد بها الله، الفقر وألمه قربة، والخوف وألمه قربة، فسبحان من جعل مشاعر الناس التي تكون في قلوبهم مدفونة لا يشعر بها أحد، لا يدري عنها أحد، يطلع عليها الملك العظيم جعلها قرب إليه، فهذه القربة التي عليه تؤجر وبسببها تثبت وهي رأس أسباب الثبات، تستطيع أن تفعلها بل تستطيع أن تقوم بها ولا تفارقك أبدًا، وهذه حال المنيبين، أنهم دائمًا يعودون، يغفلون فيذكرون، ينشغلون فيتنبهون، فيفرون مباشرة إلى ربهم.

فهذه العبادة وهي الشعور بالفقر إلى تثبيت الله عليك أن لا تنفك عنك، أن تبقى معك أطول زمن، وهذا الشعور صحيح لابد أن يكون وراءه فعل، لكن ابدأ به وكن فيه صادقًا ولا تعزم على خلاف ذلك.

يعني كان من عادتك في رمضان أن تصلي قيام الليل باسم التراويح والتهجد، قيام الليل هو نفسه مشروع في رمضان وفي غيره فماذا يقوم في قلبك؟ يقوم في قلبك الشعور بالفقر لله أن تقوم بمثل ما كنت تقوم، والفزع أن تحرم من قيام الليل، تفزع تخاف من هذا الحال، تخاف أن تحرم، فإذا جمع الإنسان بين الفقر والفزع كان قد بدأ في شق الطريق للثبات، أما إذا أمن أو رأى أن هذا خاص برمضان، وأن ما قمت به في رمضان يكفيني عن غيره، فهذا شعور بنفسه لا يصلح، وهو شعور عبد قد استغنى عن رحمة ربه، فنعوذ بالله من الاستغناء، نحن تامي الفقر لهدايته .

ومن الأعمال القلبية التي تسبب الثبات على الطريق:

٢) عدم الأمن من مكر الله

أنك عبد لا تأمن أن يمكر الله بك بسبب دسيسة في قلبك، دسيسة في قلب الانسان تسبب أن يمكر الله عزّ وجلّ به فيظهر حقيقة حاله.

وقد قطع هذا الخوف –خوف مكر الله تعالى– ظهور المتقين المحسنين، وغفل عنه الظالمون المسيئون، كأنهم أخذوا من الله الجليل عهدًا أن يدخلهم الجنة!

أما المحسنون فهم على جلالة قدر أعمالهم وعمق إيمانهم ورسوخ عملهم، لكنهم يعلمون أن الأمر كله بيد الله .

فيحسن بنا أن يكون أعيننا على قلوبنا ونتقرب إليه بمشاعرنا ، بالشعور بالفقر ، بالشعور بالفزع .

أيضًا من القرب القلبية المهمة:

٣) التوكل عليه والاعتماد عليه وسؤاله الحول والقوة

نتوكل عليه حال إقبالنا على طاعة وحال أن يحين وقت عبادة كنت تقوم بها في رمضان، فإذا وفقت لصيام الست فاسأل الله الحول والقوة لذلك، وإذا كنت المرتحل الذي يكمل ختمته ويقرأ كتاب ربه ويفهم عن الله فاسأل الله الحول والقوة، فإن مصاحفنا تكون أمامنا وكتب التفسير حولنا وننظر لها نظر المشتاق لأن يعبد الله ثم نجد نفسنا ليس لنا قوة! فمعناها أن القوة كلها لله، فكما أننا فقراء نخاف من مكر الله كذلك نحن نتوكل على الله ونعتمد عليه أن ييسر لنا الأسباب التي بها نثبت، وبها نعمل، وبها نصل إلى رضاه.

أيضا من القرب القلبية التي نرجو أن تكون قربة:

٤) أن نفرح بانقضاء الطاعة وأن الله عزّ وجلّ سدّدنا

وهو أمر من عجائب هذا الدين، فإن الله عزّ وجلّ كما أمرنا أن نجمع قلوبنا على طاعته وأن يكون في نفوسنا حب الطاعة وحب أوقاتها، ولما يأذن الله سبحانه وتعالى بانتهاء هذه الأيام يصارع الإنسان شعوريين: بين شعور

الحزن على الفراق، وبين شعور الآخر وهو الفرح بانتهاء الطاعة، فماذا يكون؟ يأمر الدين أهله أن يكونوا من أهل الفرح بهذا الموسم العظيم، فالله عزوجل أمر أهل الدين أن يفرحوا بطاعته والحمدلله رب العالمين.

نعبده سبحانه وتعالى بعبادة الفرح على مواسم الطاعات وهذا يأتي من ورائه التكبير، ويأتي من ورائه سؤال الله القبول، والفرح من العبادات القلبية، وهذا شأن عظيم في الدين، فإن مشاعرك ليس على هواك لا يغلب عليك حزن خروج الشهر على الأمر بالفرح بانتهاء موسم الطاعة والتوفيق إلى القيام بها.

فوقت خروجنا من هذا الشهر الكريم، نسأل الله عزّ وجلّ أن نخرج سالمين غانمين مع ما يكتنفا من الحزن على فراقه، وقد يكون حزنًا للطاعات حزنًا أنك فارقت شهرًا لا تدري ما أودعته وإنما تلقاه يوم القيامة، تلقى أعمالك يوم القيامة فتفحصها، وممكن أن يكون حزن من أَلِفَ واعتاد، وشتان بين حزن من أَلِفَ واعتاد وبين من عمر قلبه بالإيمان فاشتاق إلى تلك الليالي الطيبة.

ومن الأسباب التي تثبتنا على الطاعة:

٥) ترك ما لا يعنينا

فإن أعظم ما يفسد الإنسان ويبعده عن الاستقامة على طريق الحق انشغاله بما لا يعني، فإن الإنسان لا يصل إلى درجة الإحسان في الإسلام إلا إذا ترك ما لا يعنيه، وهذا أمر يغفل عنه كثيرون، فلما يكون فيه شيء من العزلة لطاعة الله في رمضان ثم يأتي العيد فتجد الناس يزيد اختلاطهم بعضهم ببعض فيضعف إيمانهم، ومن مرسلات الإمام أحمد أنه أورد –وذلك أيضا في موطأ الإمام مالك–: "من إيمان المرء تركه ما لا يعنيه"[٤]، فالمعنى أن انشغال القلب بما لا يعني، سبب لانشغاله عما يعني، فيكون في نهاية الأمر قد ضعف ايمان العبد الذي بذل جهده في تجميعه خلال الشهر.

إن الإيمان نقطة نقطة يجتمع، فيضيع بانشغال القلب بما لا يعني، واليوم وسائل الانشغال بما لا يعني تفوق التصور! وهي تجرّ الإنسان جرًّا ويصبح الإنسان في حالة من الإدمان على الانشغال بما لا يعني، وترى في صفحات المتصفحين، وفي مرئيات من يرون ترى عناوين مثيرة تدفع الإنسان إلى الشره في الاطلاع على ما يسموه الواقع، فيصبح شرهًا ولا يشبعه شيء، وترى المقطع يجرّ المقطع، والخبر يجرّ الخبر فيما يتصفحه ويراه، أو فيما

[٤] رواه الثقات عن الزهري منهم مالك في الموطأ، ويونس ومعمر وإبراهيم بن سعد.

يكون حوله من أخبار الناس، ففي نهاية الأمر يكون العبد بذل جهده وأقام أمر ربه على نفسه ووجد أثره في قلبه من الإيمان، ثم يتدخل فيما لا يعنيه أو يسأل عما لا يعنيه أو يشاهد أو يقرأ او يتابع ، فتراه قد أذهب بقلبه!

إذا تكلمت فاذكر سمع الله لك ، وإذا سكت فاذكر نظره إليك.

الاستحياء أن ينظر الله لنا ونحن نذهب بقلوبنا وأسماعنا وأبصارنا فيما لا يعنينا!

على كل حال الانشغال بما لايعني أمر عظيم، كثير من الناس لا يقدرون خطره، وقد ورد في حديث لأبي هريرة مرفوعًا: ((أَكْثَرُ النَّاسِ ذُنُوبًا أَكْثَرُهُمْ كَلَامًا فِيمَا لَا يَعْنِيهِ))[٥]! فالمعنى: أن ترك ما لايعنينا سيجعل قلبنا في حال فراغ لما يعنينا، وسيبقى قلبنا سليمًا للمسلمين، وكل خبر جهله لا يضر وتبقى في سلامة من دينك فهو مما لا يعنيك.

فالله المستعان وعليه التكلان ولاحول ولاقوة إلا به.

ثانيًا: عمل الجوارح

من الأسباب التي تسبب الثبات على الدين:

١) العناية بالأعمال الصالحة

فإن الله قد شرع في كل زمن وظيفة :

- فها هو الليل وقيامه
- وها هو الفجر وسنته التي هي خير من الدنيا وما عليها، فكيف بصلاة الفجر التي قال الله عنها: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ٧٨ قال السعدي في تفسيرها: " وَقُرْآنَ الْفَجْرِ أي: صلاة الفجر، وسميت قرآنا، لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها، ولفضل القراءة فيها حيث شهدها الله، وملائكة الليل وملائكة والنهار".
- وها هي أذكار بعد الصلاة وأذكار الصباح
- وهاهو الضحى وصلاته

[٥] رواه ابن أبي شيبة.

- وهاهو ذكر الله وقراءة القرآن
- والظهر وما له من سنن
- والصيام
- والعلم
- والبر

وأبواب الخير العظيمة التي يوفق الله لها من شاء من عباده، يفتحها على الخلق فمن أبصر ولج، ومن عمي أعرض ولم ينتفع، وإن الله من كرمه أن يفتح لكل عبد ما يناسبه من عمل ويفتح له أبواب للخير، أبواب إعانة المسلمين، أبواب تعليم للمسلمين، أبواب كف الشر عن المسلمين، كلها أبواب، فما أعظم من أبصر، فيا بصير بصِّرنا، ويا خيبة وخسار من عمي نعوذ بالله من الخذلان.

أيضا من أسباب الثبات على الطاعة بعد رمضان:

٢) الإقبال على كتاب الله خاصة تلاوة وتعلّمًا

وإذا أحسنت عَلِّم، فنتلو كتاب الله ونتعلمه ونعمل ونريد من هذا كله أن نصل إلى للثبات. وهذا يجعلنا نقول أن آية في اليوم، مشروع تخرج منه بخير كثير إن أحسنت، يعني آية في اليوم تفهمها وتبذل جهدك في بيان معناها من خلال كتب التفسير، وتبحث بحث من يريد أن يتقرب إلى الله، والله يقول: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠٢] إذن هذا القرآن قراءته وتلاوته وتدبّره أحد أعظم أسباب الثبات، فلابد من مشروع يحرص عليه الإنسان ولا يفوته، وكلٌّ أدرى بنفسه، فمن سامع، ومن قارئ، والخير الحمد لله مفتوح وموجود، وأهل العلم متكاثرين، ومن هم على المنهج الصحيح متوافرين فالفضل لله، فإما تقرأ وإما تسمع من اجل أن تفهم آية من كتاب الله .

أيضًا من أسباب الثبات على الحق:

٣) الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي

الصبر حبس النفس على طاعة الله، وحبس النفس عن معصية الله، والبحث عن ما يزيد هذا الصبر، فمما يزيد الصبر: أن يبتعد الإنسان عن الأشياء التي تثيره للوقوع في المعصية، ويقترب من الأسباب التي تزيده انشراحًا للطاعة، وهذا يلزمنا معه كثرة الدعاء بالثبات، فنصبر وندعو (يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك).

فيكون من أسباب الثبات:

٤) سؤال الله التثبيت.

وأيضًا من أسباب الثبات على الحق والهدى:

٥) ترك الظلم

إنّ الظلم ظلم النفس بالشرك أو المعاصي، أوظلم الناس والتعدّي عليهم، هذا من أسباب وقوع الإنسان في الزيغ والهلاك والضلال، فلنحذر من ظلم الخلق، ولنحذر من سوء الظن في المسلمين، ولنحذر من إطلاق التهم ومن التهاون بالكلام عن أعراض المسلمين، كل هذه الأمور تحتاج إلى حذر، وإن الوقوع في الظلم كما هو معلوم سبب لظلمات يوم القيامة! وفي الدنيا يكون سبب للزيغ و الضلال .

أيضا من أسباب الثبات:

٦) كثرة ذكر الله

فذكره سبحانه وتعالى حياة الروح وروح الحياة، فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره؟! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾ الأحزاب: ٤١ - ٤٣ فكثرة ذكره سبحانه وتعالى سبب لنزول البركات والخروج من الظلمات.

ومن الأسباب أيضا للثبات:

٧) بذل الجهد من العبد والشوق إلى أن يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر

فيسعى بماله أو بسلطانه أو بجاهه أو بفكره أو بما يملك لأن يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وأحيانا لا يكون الإنسان مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر بما يملك هو ولكنه يدعوا لمن يملك، يسأل الهدى والصلاح لولي أمره ويكون صادقًا في ذلك، ويدعوا الناس للدعاء لولي أمرهم أن يدله الله الرشاد ويصلح له بطانته ويدله على الحق إلى آخر ما في هذه الأعمال من خيرات.

فالمعنى أن الانسان يجد في نفسه قوة على أن يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، أو يجد في نفسه قوة أن يدعوا لمن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر فيشاركه في أن يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر.

ومن أسباب الثبات:

٨) مراعاة الجلساء

الحفاظ على الجلوس مع أهل الإيمان ومراعاة من تجالس ، فالحذر الحذر من صحبة تسحبك فتذهب بك، فإن الأصحاب لهم أثر السحر في تعظيم الأمر أو في تضعيفه .

نلخص ما مضى ونقول: نريد أن نداوم على العمل الصالح ولو كان قليلاً، فنطلب من الله عزّ وجلّ **بقلوبنا** مفتقرين إليه، خائفين أن نخذل، متوكلين عليه، فرحين بما أعطانا من خيرات، ونرجوا منه المزيد والقبول والثبات.

وبجوارحنا نداوم على الأعمال الصالحة، ونحن نعلم أن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ، ومن قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة إلى بعشرة أمثالها، ومن صام يومًا في سبيل الله باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام، وقد ورد في الحديث الذي صححه الالباني: ((مَنْ خُتِمَ لَهُ بِصِيَامِ يَوْمٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ))[٦] .

[٦] مسند البزار، صححه الألباني.

ومن جهة أخرى نبذل جهودنا أن نحافظ على أنفسنا من المعاصي، فنشغل نفسنا بما يعينا ونبتعد عما لا يعنينا، نشغل ألسنتنا بذكر الله من أجل أن لا تنشغل بذكر غيره، نكون على حذر من صحبتنا، ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف: ٢٨] وكما قال النبي : ((المرء على دين خليله))[٧] فكل هذا يجعلنا نقول نصبر على الطاعة ونصبر عن المعصية ونختار لنا جلساء يساعدونا على هذا الصبر.

مما يعيننا أيضًا على الطاعات في ملخص الكلام: طلب العلم، الدعوة إلى الله، خدمة المسلمين، لا تعش لنفسك، عيش من أجل أن تجعل الجماعة الذين حولك طريقك إلى الله، هذ يعين العبد على الطريق ، أن يجعل كل من حوله طريق إلى الله.

ويأتي الأمر المهم وهو الدعاء، الدعاء الذي على العبد أن لا يفتر منه، يدعوه بالثبات، ويدعوه بالصلاح له ولذراريه وللمؤمنين، يدعوه بالقبول ويرجوه وهو ممتلئ حبًّا له سبحانه وتعالى ورجاءً أن يلقاه وهو عنه راضي، (يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، ما أعظمه من دعاء يدلّ على فقر العبد، وهذا الدعاء من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يكثر منه ونحن أحق به صلى الله عليه وسلم أن نكثر منه لما فينا من ضعف، ولما حولنا من فتن، ولما نجد في نفوسنا من انقلابات، فلنكن على حذر من نفوسنا قبل الحذر من الناس.

ونختم هذا اللقاء بأمر دقيق يحتاج منّا إلى تأمّل وتفكير وهذا الأمر هو موقفنا مما يمرّ علينا من أحداث في حياتنا التي تخّصنا من أقدار تجري من الله، **إن الناس في هذا الشأن ثلاثة** :

١) هناك من يقع عليه القدر الذي لا يلائمه، فيشتكي الله للناس.

٢) وهناك من يقع عليه القدر الذي لا يلائمه، فيشتكي لله .

٣) وهناك من يقع عليه هذا القدر الذي لا يلائمه، فيشتكي نفسه لله، يشتكي تقصيره وإسرافه، ويشتكي جزعه وعدم صبره.

[٧]

فإذا زاد إيمان العبد والحياة كلها تحولات وتقلبات، وها نحن كنا نرحب برمضان، شهرًا خصّه الله بميزات، زيادة الايمان والعتق من النيران، وها نحن نودّعه! وتستطيع أن تقول أنه أقلّ من غمضة عين! أقل من لمح البصر ! فهكذا الحياة فيها من التقلبات ما فيها، وفيها من الأقدار والاختبارات ما فيها، فكن ذاك العبد المؤمن الذي نفعه إيمانه، يشتكي نفسه لربه، يشتكي تقصيره، يشتكي بطره ويشتكي قلة صبره، فاذا اشتكى طلب من الله أن يرزقه صبرا، طلب من الله أن يرزقه ايمانًا، طلب من الله يرزقه صدقًا، طلب من الله أن يبعده عن الرياء .

ونقول هذا الكلام من أجل أمر مهم وهو أن من كان ديدنه شكوى نفسه لربه، فهذا قد تبصّر نفسه في الدنيا، عينه على نفسه، يعرف من أين أُتي، ماذا حصل له؟ ماذا ينقصه الآن؟ أنت سمعت أن الله يبتلي العباد بعضهم ببعض وأمرت أن تصبر على الابتلاء ووجدت نفسك شديد الجزع ضعيف، إذن اشتكي نفسك الضعيفة التي لم تمتثل أمر الله، اشتكيها إلى الله، واطلب منه أن يمدّك بالحول والقوة لتأتمر بأمره.

يأتي عليك اعتداء من الخلق، فماذا يكون شأنك؟ تعرف من أين أوتيت وما الذي جعلهم عليك يتجرؤون أو لماذا الله عزّ وجلّ ابتلاك بهم؟ فقد أطلقت لسانك سابقًا على أحد فأتاك القول المبين فشربت من نفس الكأس! فاشتكي نفسك التي تتجرأ على الخلق.

إنّ من اشتكى نفسه على الله فقد تبصّر عيوب نفسه، وما أحسن أن يكتشف الإنسان عيوب نفسه، فإن اكتشاف العيوب طريق للتطهير، طريق يسير للتطهير، أما من غفل عن عيوبه واعتنى بصلاته وصيامه ربما كان هذا على غش، ربما كان قلبه مليئًا بالدسائس والأمراض والعظائم والأهوال، فلم يكن سليمًا، فلا تراه إلا راكعًا ساجدًا صائمًا قائمًا ليس له نصيب من هذا كله! اللهم سلم سلم.. اللهم سلم سلم. ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٩].

وليس لنا رجاء إلا في الله، أن يطهر قلوبنا مما فيها ومما أدخلناه عليها ومما زدناه فيها، فقد تخطفتنا الأهواء ودخلت الأمراض من كل جهة، والعجب شدة عناية الناس بعلاج أبدانهم وقلة عنايتهم بتطبيب قلوبهم، وأنت لست إلا قلب إن طاب طابت الدنيا، فاللهم طيّب قلوبنا، طبّبها فإليك المشتكى، وعليك التكلان، ولا حول ولاقوة إلا بالله .

نرجو من الله أن تكون هذه اللقاءات التي مضت سببًا من أسباب رفعة منزلتنا عنده، وأن تكون مما يثقل ميزاننا لما نلقاه، وتكون سببًا لاجتماعنا في جنات النعيم على سرر متقابلين، فليس معنا إلا ضعيف العمل ومدخوله ومغشوشه، فليس لنا إلا أنت يا ربنا، فاغفر لنا نقص أعمالنا واشكر لنا قليله، إذا أمدّ الله في العمر نسأل الله عزّ وجلّ أن يمدّ في أعمارنا على طاعته، فان لم يكن لنا في الحياة خير فنسأل الله عزّ وجلّ أن يصرف عنا الفتن ويقبضنا إليه غير مفتونين، إن أمدّ الله في العمر نلتقي على هذا الكتاب العظيم نزداد به إيمانًا ونصل به إلى رحمة رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين.